عليه السلام الكلام النفسيس والحمل على الاسناد الحقيقي متعين ولا موجب للعدول عنه
لما قال العلامة ابو السعود المفتي في تفسيره وكلم الله موسى تكليما مصدر مؤكد رافع
لاحتمال المجاز قال الفراء العرب تسمي ما وصل الى الانسان كلاما بأي طريق وصل ما لم يؤكد
بالمصدر واذا اكد به لم يكن الا حقيقة الكلام والمعنى ان التكلم بغير واسطة فتبين مراتب
الوحي خص به من بينهم الهي الانبيا موسى وقد فضل الله نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم
بان اعطاه مثل ما اعطى كل واحد منهم صلى الله عليهم وسلم انتهى واما قول الامام ابي منصور
الماتريدي انه غير مسموع فقد ساق صاحب التبصرة من عبارة الماتريدي في كتاب
التوحيد ما يقتضي سماع ما ليس بصوت ثم قال فيجوز يعني الماتريدي سماع ما ليس
بصوت قاله ابن ابي شريف في شرح المسايرة وقال قبله ولا يتحقق ما يصلح ان يكون
محلا للخلاف اي بين الاشاعرة والماتريدية لانه اما ان يفرض الكلام في الاستحالة
عقلا فلا يتاتى لهم انكار امكان ان يخلق الله للقوة السامعة ادراك الكلام النفسيس
او يفرض في الاستحالة عادة ولا يتاتى انكار امكان ذلك خرقا للعادة انتهى ولذا قال
العلامة العيني في شرح البخاري فان قيل كيف كان سماع النبي صلى الله عليه وسلم والملك
الوحي من الله تعالى اجيب بان الغزالي رحمه الله قال وسماع النبي والملك عليهما السلام
الوحي من الله تعالى بغير واسطة يستحيل ان يكون بحرف او صوت لكن يكون بخلق الله
تعالى للسامع علما ضروريا بثلاثة امور بالمتكلم وبان ما سمعه كلامه وعبر اده من
كلامه والقدرة الازلية لا تقصر عن اضطرار النبي صلى الله عليه وسلم والملك الى العلم
بذلك وكما ان كلامه تعالى ليس من جنس كلام البشر فسماعه الذي يخلقه لعبده ليس
من جنس سماع الاصوات ولذلك عسر علينا فهم كيفية سماع موسى عليه السلام
لكلامه تعالى الذي ليس بحرف ولا صوت كما يعسر على الاكمه كيفية ادراك البصير
للالوان انتهى ولكن قد عقبه بقوله اما سماعه عليه السلام فيحتمل ان يكون بصوت
وحرف دال على معنى كلام الله تعالى انتهى وهذا مع كونه اولى من عبارة غيره من
المانريدية الحنفية المجازمين بان موسى سمع صوتا لا على الكلام النفسي فكل
ذلك خلاف ما يقتضيه كلام الامام الاعظم في الفقه الاكبر كما قدمناه على ان ذلك
الخلاف لا بد له من دليل نصا لان السمع بخلافه وان يكن ذلك قياسا لامر الغايب
على الشاهد

فهذا خلاف كلام الامام الاعظم في الفقه الاكبر

على الشاهد فليس بلازم ان يكون طريق السمع تعلق السماع بالصوت قيد وجد معه
وجودا وعدما لعدم مماثلة الكلام الازلي الكلام البشري فيجوز سماع الكلام الازلي
على الصفة التي قالها ابو حنيفة والغزالي فيما تقدم ولذا قال شيخ الاسلام العلامة
قاسم بن قطلوبغا في حاشيته على المسامرة لشيخه الكمال بن الهمام انه تعالى متكلم
بكلام قديم قوله متكلم اي مسمع الكلام معينا لان التكلم اسماع الغير انتهى وقد
خالف الماتريدي بعض المتاخرين من الحنفية نحو الشيخ الامام الاجل اكرم الزاهد
الصفار كما خالف الاشعري الاستاذ ابو اسحاق الاسفرايني وهو من اجل ائمة الشافعية
ومن تابعه منهم انتهى هذا وقد اجمع المتكلمون على ان صفة الكلام لا يتعقل كيفيتها
كبقية الصفات لان كلامه تعالى لا هو عن صمت متقدم ولا سكوت متوهم اذ هو قديم ازلي
كذا في اليواقيت والجواهر في بيان عقايد الاكابر للعارف الامام الشيخ عبد الوهاب
الشعراني واما كيفية اتيان الوحي وبيان معناه فقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم
عن كيفية اتيان الوحي فبينه بقوله صلى الله عليه وسلم ياتيني مثل صلصلة الجرس مع
بيان حامل الوحي ايضا بقوله واحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني اي كلاما صريحا ظاهرا
الفهم والدلالة وروي من حديث عمر رضي الله عنه كنا نسمع عنده مثل دوي النحل
والحكمة في ضربه صلى الله عليه وسلم المثل المذكور انه صلى الله عليه وسلم كان معتنيا بالبلاغة
مكاشفا بالعلوم الغيبية وكان يوفر على الامة حصتهم بقدر الاستعداد فاذا اراد ان
ينبئهم بما لا عهد لهم به من تلك العلوم صاغ لها امثلة من عالم الشهادة ليعرفوا
بما شاهدوه ما لم يشاهدوه فضرب مثلا للوحي بالصوت المتدارك الذي يسمع
ولا يفهم منه شيئ تنبيها على انه يرد على القلب في لبسة الجلال فياخذه هيبة الخطاب
حين الورود بجامع القلوب ويلاقي من ثقل القول ما لا علم له بالقول مع وجود ذلك
فاذا كشف عنه وجد القول المنزل بينا فيلقى في الروع واقعا موقع المسموع وهذا
الضرب من الوحي شبيه بما يوحي الى الملايكة اذا قضى الله في السما امرا ضربت الملايكة
باجنحتها خضعانا لقوله كانه سلسلة على الحجر فاذا افزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال
ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير والصلصلة بفتح الصادين المهملتين الصوت
المتدارك الذي لا يفهم اول وهلة ويقال هي صوت كل شئ يصوت كصلصلة

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)